أدب الرحلة وقيم الانفتاح من منظورفلسفي
" رفاعة ر افع الطهطاوي أنموذجا"

Travel literature and the values of openness from a philosophical perspective:(Rifa'a al-Tahtawi as a model)

د. سفيان فاتن [1]،
Dr. Sefiane faten
المركز الجامعي نور البشير البيض، f.sofiane@cu-elbayadh.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/25 تاريخ القبول: 2025/10/25 تاريخ النشر: 2026/01/01

ملخص:

تتعدد وسائل المعرفة وتتنوع طرقها، وتختلف هذا الوسائل من زمان إلى زمان، ومن شخص إلى شخص، وتعتبر الرحلة أو الترحال أحد هذه الوسائل، فعن طريق الرحلة اكتشف العلماء والأدباء ثقافة غيرهم من المجتمعات وتعرفوا عليها، ويعتبر أدب الرحلة نافذة نطل منها على أدب وثقافة المجتمعات الأخرى، كما يعتبر رفاعة رافع الطهطاوي أنموذجا بارزا وعلما من أعلام أدب الرحلة، ونظرا لأهمية كتابات الطهطاوي واهمية أدب الرحلة عنده أردنا من خلال هذا البحث أن نسلط الضوء على المساهمات الفكرية العربية في نقل الثقافات الغربية من خلال التأثير والتأثر، وبيان أهمية الانفتاح على الآخر، لا بغرض الذوبان فيه بل لإدراك نقائص الذات العربية ومن ثم استدراكها، حتى تتمكن من الدخول ضمن دائرة الندية والتخلص من نظرة الدونية والاستحقار لذواتنا وثقافتنا، كما أردنا أن نبين أن أدب الرحلة لا يقتصر على النصوص الأدبية فحسب، بل ويتعداها نحو أنساق فكرية مختلفة منها النسق الفلسفي حيث تأتي المداخلة ضمنه.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، الطهطاوي، الهوية، القيم، الانفتاح.

Abstract:

Abstract: There are many means of knowledge and their methods are diverse, and these means differ from time to time and from person to person. Travel or migration is one of these means. Through travel, scholars and writers discovered and became acquainted with the culture of other

societies. Travel literature is considered a window through which we can look at the literature and culture of other societies. Rifa'a Rafi' al-Tahtawi is considered a prominent model and a figure of travel literature. Given the importance of al-Tahtawi's writings and the importance of travel literature to him, we wanted through this research to shed light on Arab intellectual contributions to the transmission of Western cultures through influence and being influenced, and to demonstrate the importance of openness to the other, not for the purpose of dissolving into it, but rather to realize the shortcomings of the Arab self and then remedy them, so that it can enter the circle of equality and get rid of the view of inferiority and contempt for ourselves and our culture. We also wanted to show that travel literature is not limited to literary texts only, but rather extends beyond them to different intellectual systems, including the philosophical system, within which the intervention comes.

Key words: Travel literature, Tahtawi, identity, values, openness

المؤلف المرسل: د. سفيان فاتن

1. مقدمة

في زمن كانت فيه وسائل التواصل شبه منعدمة، كان فيه الإنسان شغوفا بالمعرفة محبا لها وباحثا عنها واعتبرها ضالته الأولى، ولم يجد الإنسان في هذا الزمان غير السفر والترحال لإشباع فضوله المعرفي، فكانت الرحلة صنفا أدبيا يبين أحوال الأقوام أو الناس من حيث التاريخ والأنساب والعادات، والحضارة والسياسة والاقتصاد والثقافة، ويعرض لنا المدنية والثقافات الحديثة، ونشاهد من خلالها ثقافة وحضارة ومدنية غيرنا، ونتعرف على أحوالهم وأفكارهم وأخلاقهم ومعيشتهم وضوابط العلاقات فيما بينهم، ففي الوقت الّذي لم تكن أدوات الاتصالات الحديثة كانت الرحلات مصدراً مهما وأساسيا لحصول المعرفة، ويعتبر العرب المسلمون روادا في السفر والترحال بحثا عن المعرفة، ومن نماذجهم رفاعة رافع الطهطاوي الذي سافر وارتحل وتنقل إلى باريس، وحاول أن ينقل لنا فلسفة المجتمع الفرنسي، وأدبه وثقافته من خلال رحلته هذه، فما مدى تأثير رحلة الطهطاوي نحو باريس في بناء أنماط التفكير المنفتح؟ وأين يظهر تهافت فكره هذا؟

2.مقاربة في مفهوم أدب الرحلة وأهميته

تعد كتب الرحلات من مصادر التاريخ والآثار والمجتمع التي تضيف الكثير من المعلومات والأحداث، وتقدم وصفاً للأماكن والشخصيات، وهي انطباعات شخصية وواقعية عن الجوانب

الاجتماعية والحضارية للمناطق التي تمت زيارتها، وعادة ما تكون هذه الكتب دليلا ومرشدا وتحمل في طياتها مادة معرفية غنية المؤرخين وعلماء الاجتماع والقانون والأدب وغيرهم (عبد الله بن أحمد بن حامد آل حمادى، 1997م، ص 9.)، ويمثل أدب الرحلة لوناً أدبياً يجمع بعض خصائص القصة والرواية والسيرة الذاتية، ويفيد من أدوات فنية مهمة كالصورة، والقصة، مما يجعله ميداناً فنياً، ويتيح له ذلك إيصال رسائله الفكرية، والفنية على اختلافها وتنوعها.

1.2.تعريف أدب الرحلة

الرحلة لغة من رحَلَ يَرحَل، رَحيلاً وتَرْحالاً ورِحْلَة، والرُّحال: العرب الرُّحال: الّذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث، وينبت المرعى (إبراهيم مصطفى – أحمد حسن الزيات – حامد عبد القادر – محمد على النجار، دت، ص 324.)

و" الرِّحْلَةُ بالضَّمِّ والكسرِ يُقالُ: إنَّهُ لَذُو رِحْلَةٍ إلى المُلوكِ ورُحْلَةٍ حَكاهُ اللِّحْيانِيُّ أي ارْتِحالٍ. والرِّحْلَةُ بالكسرِ: الارْتِحالُ لِلْمَسِيرِ (المرتضى، الزَّبيدي ،2010م، ص 29، 61.)

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب "الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار" (ابن منظور، دت، ص 276.)

أما اصطلاحا فأدب الرحلة هو" مجموعة الأثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق"(إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيحانى، 1997م، ص 25.) ، ويقول ابن منظور في موضع آخر "أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفاً له، ويسجل فيه مشاهداته، وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير" (انجيل بطرس، 1975م، ص52.)

واتخذ أدب الرحلة الرحالة من علم الصور علم الصورولوجيا أداة ليسقط تمثيلات الذات على صورة الآخر التي عبر عنها في ثقافته، ذلك أن النص الرحلي يضج بصور تشكلات وتجليات الآخر، ويظهر ذلك في موقف الرحالة. وأيضا الصور غير المباشرة، والتي يتم رصدها في وصف الرحالة لثقافة الغير وعاداته وتقاليده، وقد ترتبط الصورة بالمجاز والخيال وقد تكون واقعية (فاطمة الغزال،2222، ص122)

كرحلة الطهطاوي فهي تقترن بالذات والآخر بتمثيل واقعي، وتخلو من الخيال والايحاء.

2.2.أبعاد أدب الرحلة

يحاول الإنسان أن يكشف أسرار الكون ويتعرف على رموزه، فيلجأ إلى الحركة والتنقل والسفر، ولا يثبت في مكان واحد، وبالسفر والترحال يبحث عن طعامه وشرابه، ويحفظ نفسه

وكرامته، باحثا بذلك عن حياة سعيدة، والرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم والمعارف، وهي بشكل عام سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة، ومفاهيم أهلها على مر العصور، فالرحالة يطوى الأرض خلال رحلته ويسجل ملاحظته عن المظاهر المختلفة في الحياة، حين يشاهدها أو يسمعها ويصفها من خلال رحلته، ولا شك أن الرحالين قد يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم، وفقا لقدرتهم وذوقهم وثقافتهم الأدبية، كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم، حسب فهمهم للأمور تحت الظروف المختلفة التي يخضعون لها، والرحلات مصدر خصب لكل عالم ومثقف وفيلسوف وأديب، وفيها عبرة وعظة وفائدة للمقتدى، وتترك الأثر الحسن في نفس الراحل، وانتعشت الرحلات بعد الفتوحات الإسلامية بدرجة كبيرة، ورغم وجود الرحلات قبل الإسلام إلا أن الرحالة لم تكن لديهم ثقافة تسجيل رحلاتهم في مؤلفات إلا قليلاً (عبد الله بن حمد الحقيل، 2007 م، ص 16، 17.)

وقد جاء ذكر هذه الرحلات في كتب التاريخ أو تقويم البلدان، والرحالة ينقل للقارئ صورا أو طرائق وقصصا ومشاهدات لكل ما رأى وما شاهد، والتراث العربي الإسلامي غني بأخبار الرحلات والرحالة، وما دونوه عن مشاهداتهم ووصفهم من نماذج رفيعة من أدب الرحلات، مما جعل كنوز السفر تراثا لدى المسلمين، ولقد سجل الرحالة مشاعرهم بأسلوب جميل ومؤثر، فالرحالة يكتب كتابا متنقلا، تضم صفحاته صورا للبلاد والثقافات المختلفة التي يمر بها، ووصف الأماكن والمساجد والمكتبات والشخصيات التي يلتقي بها وجمع معلومات ومعارف متنوعة.

والمسافر يجد فرصة في مشاهدة العالم من حيث الاجتماع والمدنية والعلوم والفنون ويشاهد المناظر الطبيعية، كما أنه يقوم بتبادل الآراء مع الناس في الدول المختلفة، مما يزيده علمًا ويستغل السف رفي نشر عادات وتقاليد بلده في بلاد أخرى، ويكون السفر أساسًا لتبادل الآداب والثقافة بين الأقوام والبلاد، وكثير من الرحالة قد جمعوا قدرا كبيرا من المعلومات وأمدوا الثقافة العربية بثروة فكرية وتاريخية وجغرافية، وكتبوا الرحلات ألتي قاموا به، ويعد أدب الرحلة خزانا لدراسة المجتمعات والثقافات والحضارات، كما أنه غني بالسرد، والخيال والحكمة، ونلمس هذا في كتابات الطهطاوي الذي وصف المجتمع الفرنسي من زوايا ومناحي متعددة، وتقتصر دراسة رحلة الطهطاوي في تلخيص المهم وعلى منهج واحد، فرحلته كانت غنية ومتعددة الرؤى والزوايا رغم انبهاره بالمجتمع الفرنسي بشكل يكاد مطلق، وهو ما سنفصل فيه لاحقا.

3. دواعي وأسباب الرحلة

حث الإسلام على السياحة والسفر لأسباب متعددة ومختلفة، مثل التأمل في المخلوقات، أخذ العبرة من الأمم السابقة (سمير عبد الحميد، 1999م، ص 15)

وهذا ما دلت عليه العديد من الآيات القرآنية منها قوله عزوجل﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾سورة الأنعام، الآية11، وباتساع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة للفتوحات الإسلامية، فقد احتاجت الدولة إلى معرفة أخبار الأقاليم والبلدان المفتوحة لها، ولذلك استعانت الدولة بنظام البريد، فمهّدت الطرق له، وأقامت على الطرق معالم تبين المسافات" وجاء في وصف طرق الشام القول التالي: "وتأخذ من دمشق إلى الكسوة بريدين، ثم إلى جاسم ورفيق مرحلة. ثم إلى طبرية ريدا ...ثم من بانياس إلى القدس بريدين" (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، 1991م، 190/1)

وأكثر الرحلات تشير إلى مواقف الشعوب وسلوكهم مع الغرباء الّذين يمرون بهم خلال سفرهم أو يعيشون بينهم لمدة محدودة، وهذا ما جسده ابن بطوطة في وصفه لإحدى مدن الهند قائلا " كانت إقامتنا عندهم خمسة عشر يوما، فكنا كل يوم وليلة في دعوة جديدة ولا يزالون يحتفلون في أطعمتهم" (ابن بطوطة، 1905م، ص9.)

هذا وندرك جيدا أن الإسلام دين الحكمة يقول صلى الله عليه وسلم" الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها" ويقول أيضا " اطلبوا العلم ولو بالصين"، فغاية الترحال هي بلوغ الحكمة وأدب الرحلة يحفظ هذه الحكمة وينقلها من جيل إلى جيل.

إن الرحلة سياحة في زمن، والرحالة يعيش أعمارا عديدة من خلال تعرفه على حياة غيره من الشعوب، وهذا يعني بأن العلم والتعليم هو السبب الّذى دفع بالكثيرين من الرحالة إلى القيام برحلاتهم، وهناك دوافع كثيرة وأسباب متعددة تحمس وترغب الإنسان وتدفعه إلى الترحال، وقد تختلف من قوم إلى قوم ومن عهد إلى عهد ومن شخص إلى أخر حسب رغبات الرحالة وحاجاتهم، فمنها ما هو ديني يهدف إلى زيارة الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة من الذنوب وتطهيرا للنفس، ومنها ما هو معرفي فبعض من الناس قاموا برحلات بحثا عن المعرفة، وهناك رحلات قام بها المعلمون لنشر علمهم ونقله إلى من يجهله، وهناك دوافع تجارية، والهدف منها تسويق البضاعة أو شراء منتجات معينة بهدف تحقيق الربح، ولعل أبرز دور للرحلات في عالم الأدب هو نقل فنون حياة المجتمعات الأخرى إلى المجتمعات المحلية، وهو الخدمة الكبرى التي قدمها أدباء الرحلة للناس، وهناك دوافع صحية للرحلة، فقد تكون الرحلة طلبا للعلاج، وهو ما يصطلح بالسياحة الطبية، وفي كل الدوافع التي ذكرناها نفع للراحلة والمجتمع على حد سواء، شرط أن يكون الهدف نبيلا.

4.الرحلة والانبهار من خلال تخليص الإبريز في تلخيص باريز

تعد رحلة رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا واحدة من أهم رحلاته التي تركت بصمة واضحة على حياته الثقافية والأدبية، ومن بين الأعمال التي كتبها خلال هذه الفترة، كتاب " تخليص الإبريز في

تلخيص باريز"، الذي يعتبر من أهم أعماله التي تناولت تجربته الفرنسية وأثرها على فكره وأدبه، ويمكن تلخيص محتوى الكتاب في النقاط التالية:

1.4.الجانب الثقافي

يعد كتاب" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من أهم الكتب التي كتبتها رفعت الطهطاوي خلال فترة إقامته في فرنسا، ويتحدث الكتاب عن تجربته في فرنسا والثقافة الفرنسية وأثرها على فكره وأدبه، ويستخدم الكتاب أسلوب الرحلة الأدبية، حيث يصف الأماكن التي زارها والأشخاص الذين التقى بهم، ويروي قصصاً وحكايات عن الثقافة الفرنسية.

ويشيد الكتاب بالفلسفة والأدب الفرنسي، ويقدم نظرة عامة على الثقافة الفرنسية في القرن التاسع عشر

كما يعرض الكتاب مواقف مختلفة تعرض لها الطهطاوي في فرنسا، وكيف أثرت على فكره وأدبه، ويتناول الاختلافات الثقافية بين الثقافة الفرنسية والثقافة العربية، ويشير إلى أهمية التواصل بين الثقافات وتعميق الفهم بين الشعوب المختلفة، وتميز الكتاب بأسلوبه السلس والجميل، والذي يمكّن أي شخص من استيعابه وفهمه، بالإضافة إلى كونه يتعرض للعديد من الجوانب الثقافية والفنية والتاريخية لمدينة باريس.

يستخدم الكتاب أسلوب الرحلة الأدبية الذي يجعل من القارئ يشعر كأنه يقرأ قصة سفر ومغامرة، ولكن في الوقت نفسه يتضمن الكتاب العديد من الأفكار والفلسفات التي تجعله يتجاوز وصف للأماكن والأشخاص ويصل إلى الجوهر الحقيقي للثقافة الفرنسي، ويتحدث الكتاب عن الفن والأدب الفرنسي، ويعرض العديد من الأمثلة على الأعمال الفنية والأدبية المميزة التي تأثر بها الطهطاوي، ويتناول قضايا مثل الرومانسية والطبقية في الأدب الفرنسي، كما يشير الكتاب إلى الاختلافات الثقافية بين الثقافة الفرنسية والثقافة العربية، ويقدم نصائح وتوصيات للتعامل مع هذه الاختلافات، وتحقيق التواصل بين الشعوب المختلفة، ويعتبر الكتاب مصدراً مهماً لفهم تأثير الثقافة الفرنسية على الأدب والفكر العربي في القرن التاسع عشر، ويستفاد منه أيضاً في دراسة وفهم الثقافة الفرنسية وتطورها في هذه الفترة (رفاعة الطهطاوي، 1973. ص 182)

ويمكن القول بأن كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" هو إضافة مهمة لمكتبة الأدب العربي ويستحق القراءة من قبل كل من يهتم بالثقافة الفرنسية والثقافة العربية، ومن يسعى لتحقيق التواصل بين الثقافات.

2.4.الحرية من خلال تخليص الإبريز

آمن الطهطاوي بأن ما رآه من تقدم في فرنسا أثناء دراسته هناك هو المخلص للمجتمعات العربية من انغماسها في الجهل لذلك حاول أن يلخص مشروعه النهضوي في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز" وقد حمل الكتاب في طياته الكثير من الأفكار والمسائل بالإضافة إلى مسألة الحرية التي حاول في البداية تقريب معناها بعيدا عن فكرة المقابلة أو الضد لذلك أختار كمقابل لكلمة "**liberty** " الفرنسية كلمة الإنصاف " فكان أن عرف الحرية الفرنسية بالعدل والأنصاف الإسلاميين. هذه النقلة لم تسمح وحسب بتقريب مضمون الكلمة الإفرنجية إلى عقول قرائه قدر الاستطاعة، بجعلهم يحسون بنبض المفهوم بدل الاكتفاء بترجمة الكلمة بكلمة أخرى مقابلة لها حرفيا، بل أنها سمحت كذلك بأن يدفع رفاعة عن نفسه مقدما كل اتهام ممكن بالزيغ والضلال أو بأنه يستورد الأفكار المضلة من بلاد الكفر والعناد" (سفيان فاتن، جوان 2024، ص1514)

فالطهطاوي حاول من خلال كتابه نقل ما فهمه عن الحرية في واقع أجنبي إلى واقع عربي مسلم يتميز بقيمه وثقافته التي تفرض نفسها على العادات فيه، وخوفه من رفض ما يقدمه حاول الاحتماء بالمفردات الإسلامية لتمرير أفكاره التي كانت تهدف إلى تحرير العقول من الاستكانة لما يمليه الشيوخ وإعمالها في الحياة وتحرير المرأة من النظرة التي فرضت عليها وإعطائها حقها في التعليم وحريتها في اختيار الحياة التي تريدها بعيدا عن أي إكراه أو قيد عائلي مبرره الخوف عليها وتقزيم قدرتها في العقل وأحقيتها في العمل به.

لقد سعى الطهطاوي إلى تأسيس دولة حديثة تؤمن بالحرية والمساوات فمثل بذلك الاتجاه الليبرالي الذي لا يؤمن بالقيود على عقل الإنسان واختياراته مادام ذلك لا يجلب المضرة للآخرين لذلك فليس من حق الآخرين التدخل في حياة الإنسان ولا تحديد مستقبله، مادام الإنسان واعي فهو قادر على رفض جميع بوادر الاستعباد ولهذا نظر الطهطاوي للحرية على أنها " رخصة العمل المباح، من دون مانع غير مباح، ولا معارض محظورة، فحقوق جميع أهالي المملكة المتمدنة ترجع على الحرية فتصف المملكة للهيئة الاجتماعية بأنها مملكة حاصلة على حريتها، ويتصف كل فرد من أفراد هذه الهيئة بأنه حر، يباح له أن ينتقل من دار إلى دار ومن جهة إلى جهة، بدون مضايقة مضايق، ولا إكراه مكروه، وأن يتصرف كما يشاء في نفسه ووقته وشغله، فلا يمنعه ذلك إلا المانع المحدد بالشرع والسياسة "(رفاعة الطهطاوي، 1973، ص 472.)

فالحرية بالنسبة إليه ليست فكرة ميتافيزيقية شعورية وحسب وإنما هي فكرة واقعية تترجم في العمل الذي لا يضر بالآخرين ولا يفسد عليهم استقرارهم، حيث رأى الرجل أن الدولة المتحضرة هي التي تسود فيها الحرية، ويمكن لأفرادها أن يدركوا حقوقهم ويعوا واجباتهم، وبهذه الطريقة يمكنهم أن يمارسوا حرياتهم التي لا تتصادم مع قوانين الدولة المدنية ولا ضوابط الشريعة

الإسلامية، فالظلم بالنسبة للطهطاوي هو التعدي على القوانين العادلة التي يسطرها القانون للحفاظ على حريات الأفراد المتساوين في أخذهم بتلك الحريات.

3.4.متفرقات من كتاب تلخيص الإبريز

لا يمكن في نظر الطهطاوي لأحد أن يتجاهل الجمال الذي يحيط بمدينة باريس، فهي مدينة الفن والإبداع، والتي تمتاز بشوارعها الجميلة ومعالمها الرائعة، وبين الطهطاوي أن يحتوي الفن الفرنسي على الكثير من العواطف والمشاعر، ويعبر عنها بأسلوب فريد وجميل، مما يجعله يلهم الفنانين حول العالم، وأنه لا شيء يضاهي الاستمتاع بالموسيقى الكلاسيكية في مدينة باريس، حيث يمكن للأذن أن تلتقط أجمل الألحان والمقطوعات الكلاسيكية، ويتمتع الفرنسيون بثقافة فريدة ، حيث تشمل الأدب والفن والموسيقى والفلسفة، وهي ثقافة تستحق التعرف عليها والاستفادة منها، وأشاد الطهطاوي بمدينة باريس واعتبرها مثالاً حياً على الحضارة الإنسانية، حيث يمكن للزائر أن يشاهد مختلف الثقافات والتيارات الفكرية والفنية المختلفة التي أثرت على المدينة عبر التاريخ، ويمكن للفن أن يكون وسيلة لتعليم الناس، حيث يمكنه أن يعبر عن القيم الإنسانية والأخلاقية بأسلوب يشد القلوب والعقول . (رفاعة الطهطاوي، 1973، ص 289.)

ونستنج في ختام هذه القراءة الوجيزة لكتاب "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" أنه يجب على المرء في نظر الطهطاوي أن يتعلم من التاريخ ومن الأشخاص الذين مروا في الحياة قبلنا، حتى نتمكن من تحسين مستقبلنا وتطوير أنفسنا.

5.قيم الانفتاح وانعكاس ثقافة الآخر على الموروث العربي، في ظل العولمة وتهافت رِؤية الطهطاوي

الحديث عن العولمة انتشر في كل الدراسات الاكاديمية والعلمية في الأوساط العربية والإسلامية، لأن المسلمون وحدهم من دفع ضريبة العولمة غاليا، فقد التهمتم العولمة وانصهروا فيها بشكل يكاد يكون مطلق ولم يعد للذات الإسلامية خصوصيتها المعهودة، وحتى وإن بقيت بعض فئات المجتمع أو بعض الدولة تحافظ على شيء من الهوية الإسلامية، فإنها تبقى ظاهرة محدودة نوعا ما، وهذا ما يجعلنا نقول بأن المجتمع الفرنسي الذي وصفه الطهطاوي ليس نفسه المجتمع الفرنسي اليوم، والانفتاح الذي نادى به حوله الغرب إلى غزو ثقافي وحتى ندرك حقيقة هذا الغزو وجب علينا ان نتعرف على جدلية الأنا والآخر فلسفيا.

1.5.جدلية الأنا والآخر

جدلية الأنا والآخر جدلية مطلقة وعامة، تناولتها أغلب الفلسفات الغربية الحديثة والمعاصرة بمختلف تياراتها ومذاهبها، كما تناولتها الفلسفة اليونانية من قبل، لذا من الصعوبة التطرق إلى كل حيثيات هذه الجدلية في الفلسفة الغربية وفيما يلي توضيح لذلك.

. مفهوم الأنا

اختلفت تفسيرات وتعريفات الفلاسفة والباحثين للأنا، فالمعنى النفسي والأخلاقي للأنا هو وعي الفردية التجريبية، وهو وعي ما هو عليه وذكرى ما كان عليه، فليس أناه سوى مجموعة الأحاسيس والمشاعر التي يحس بها وتلك التي تذكره بها الذاكرة.(اندريه لالاند،، 2001، ص824.)

أما الأنا في المعنى الوجودي فهو جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أو متعاقبة، فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار، ولا يتبدل بتبدلها ولا يتغير بتغيرها. (جميل صليبا، 1982، ص 140.)

وكأن لذاتنا وآلامنا وطموحاتنا وكل إحساساتنا تجري أمام أعيننا، ونشاهدها مشاهدة المشاهد الواقف على شاطئ للبحر.

أما بالمعنى المنطقي والنقدي فالأنا "ذات مفكرة، بحيث تكون وحدتها وهويتها مع الشروط اللازمة، المضمنة بتوليف المعطى المتنوع في الحدس، وبترابط هذه التمثلات في وعي ما".(اندريه لالاند،، 2001، ص825.)

غير أن هناك من الباحثين من يعرف الأنا بأنها هي نفسها الذات، وهذا ما نجده في قول إبراهيم مذكور بأن " الأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها، وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، هو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين، وهو أساس الحساب والمسؤولية" (إبراهيم مذكور، 1983، ص23.)

كما أن الأنا أنواع " تجريبي وهو الشعور بالفردية التجريبية وترندستالي وهو الحقيقة الثابتة التي تعد أساسا للأحوال والتغيرات النفسية ومطلق وهو التفكير الذاتي العالق على التجربة "(إبراهيم مذكور، 1983، ص23.)

وبالرغم من تشعب مناحي مفهوم الأنا واختلاف الفلاسفة في تعريفه إلا أن القاسم المشترك الذي يجمع كل هذا الشتات هو أن (الأنا) مفهوم جوهري لتحديد مكان الإنسان من الوجود، والأنا تعني الكينونة ويجب على الإنسان التحرر منها، والأنا هو تحديد المشكلة القديمة للكينونة بما هي كينونة. (ليفيناس،2014، ص13)،ويعتبر الأنا جسر عبور إلى الآخر، (. Jacqueline Russ, 1992, p14)

والأنا هو الكاشف عن قدرتنا للاهتمام بالغير، وهو منبع الخير والشر على حد سواء، و الأنا تكتشف نفسها من خلال الحوار مع الآخر وقدرتنا على المناقشة و إثبات الرأي.

2.5.حول مفهوم الآخر" الغير"

قبل أن نتعرض لمسار جدلية الأنا والغير أو الآخر ومدلولها ننطلق من تحديد مفهوم الغير، فقد جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا أن " لفظ الغير في علم النفس مقابل للفظ الأنا، فكل ما كان خارج الذات ومستقلا عنها كان غيرها ...فالأنا هو الذات المفكرة والموضوع الخارجي هو الآخر " (جميل صليبا، 1982، ص 131.)

وهذا يعني أن الغير هو كل ما يحيط بنا، والمتجسد في الطبيعة الخارجية سواء كانت عاقلة أو غير عاقلة، وعلى الرغم من قدم العلاقة بين الأنا والآخر وتنوع صورها بين الحب والاحترام والصراع والتنافس والعداوة، وعلى الرغم من كل الدعوات الكبرى حب الخير للآخرين واحترامهم، (نفين فاروق فؤاد، 2006، ص76)

إلا أن الواقع يكشف لنا عن تهميش حقيقي لمشكلة الغيرية ليس فقط على مستوى التنظير الفكري وإنما على مستوى الممارسة الواقعية في ظل انتعاش حب الأنا فقد تمركزت الأنا حول ذاتها واهتمت بتفسير الوجود الخارجي.

وفي ظل هذه المعطيات انبثقت فلسفة إيمانويل لفيناس، الذي يعد وجها بارزا في الفلسفة الفرنسية المعاصرة وواحد من الذين تركوا أثرا على المشهد الفكري الإنساني احتجاجا على ما وصل إليه العصر التقنو علمي من عبث بإنسانية الإنسان وكرامته منذرا بمصيره المجهول، هذا من جهة ومن جهة أخرى انتعاش الفلسفات التي تنشد تقديس الذات وتمجدها وتتجاهل الآخر، ومنه يعطي ليفيناس مكـــانة مميزة للغيرية والآخر الذي أصبح قضية محورية في فلسفته، حتى أن الأخلاق النظرية هي في المركز، العلاقة بين الأفراد وهي الأولى (الدراجي زروخي ، 2019، ص 169)

فهو ينتقد المباحث الأنطولوجية التي سبقته في أنها غير قادرة على إدراك الغيرية وأبعادها الأخلاقية، وأنها تتعامل معها بالعنف والتهميش والتغريب، لهذا كانت محاور فلسفته تدور حول التسامح والخير والمحبة والاعتراف بالآخر.

ويظهر جليا أن الطهطاوي تأثر بهذه الفلسفة، فقد ركز الخطاب الرحلي للطهطاوي على وصف إعجابه بالآخر وتمدنه، فلجأ أحيانا إلى إشارات ضمنية، ولمح أحيان أخرى، وكثيرا ما نجده يصرح بذلك صراحة وفي المشهد السابق لم تكن الأنا مسكوتا عنها بل مصرحا بها، فوضعها

الطهطاوي صراحة في مقابل الآخر ليظهر مدى تفوق الاخر وتحضره، كما اهتم الطهطاوي في المقابل بالآخر وهو ما يظهر من خلال وصفه للمرأة الفرنسية وكأن المرأة العربية تفتقد لمقومات الانوثة. (رفاعة الطهطاوي،2012، ص90)

بمعنى أن اعتراف الأنا بالآخر عند الطهطاوي بلغت حد تمجيد الآخر وتهميش الأنا في ثقافته ونمط معيشته وحياته.

6.العولمة وتحديات المجتمع الإسلامي المعاصرورؤية جديدة لعلاقة الأنا بالآخر

إن أخطر فكرة على الأنا العربي الإسلامي هي العولمة، التي تحتوي على مخططات خطيرة منها أمركة العالم، وتشويه صورة الإسلام عن طريق الإعلام والاقتصاد، فالعولمة تريد للمسلم أن يمسخ ويتذوق بلسان أمريكي، ويتخلى عن هويته الإسلامية، وبداية الطريق هي نفور الفرد من الإسلام ومن ثوابته ومقوماته، لذا يجب على المسلم أن يحتوي حركة العولمة عن طريق تفعيل التربية، وسنبين ذلك من خلال تطرقنا للعناصر التالية

1.6.العولمة وأهدافها

إذا كان مفهوم التربية في العصور السابقة قد ارتبط بالسلوك البشري مباشرة فإنه مع عصر العولمة تغير ليعكس الانفتاح والتعامل مع الأخر، وانتقلت وظيفة التربية من مجرد توجيه وضبط السلوك إلى تمكين الفرد من احتواء الآخر، والتعامل معه ندا للند أو ما يعرف بالندية، واقصد هنا وظيفة التربية في المجتمعات العربية والإسلامية، لأنها المستهدف الأول من الانفتاح العالمي، وقبل أن ندرك حقيقة هذا وجب علينا أن نتعرف على معنى العولمة، وغاياتها بحكم أن غايات العولمة هي التي أفرزت تغير غايات التربية في عصرنا هذا.

والمعنى اللغوي لكلمة عولمة مشتق من الفعل علم، ويعلم، عولمة على وزن فوعله: يقال فوعل الشيء أي جعل له فاعلية وتأثيرا. (زروخي الدراجي،2015، ص65)، والعولمة هي تعميم الشيء إلى أبعد حد ممكن، وتطبيقه على أوسع نطاق (تومي عبد القادر،2009، ص19)

وهي إكساب الشيء صفة العالمية، وجعل تطبيقه عالميا، والعولمة مصطلح حديث إذ يركز هذا المفهوم على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية. (البنا فؤاد، 2006، ص231)

وبدأ مفهوم العولمة يحتل موقعاً أساسياً في العلوم الاجتماعية المعاصرة، ويستخدم في عدد من فروع المعرفة مما جعله أحد المفاهيم التي تستدعي مدخلا تتفاعل فيه فروع المعرفة بشكل متبادل، وصادق لتحليل المجتمع ككل، (عبد الله قلي، 2011، ص 20)، لأنه يتضمن معظم الظواهر الاجتماعية والاتصالية والثقافية والاقتصادية المعاصرة.

وتستخدم مصطلحات كثيرة للتعبير عن مفهوم العولمة منها الكونية والكوكبة والدولية والعالمية وغيرها، غير أن المفهوم الأكثر شيوعاً واستخداماً هو العولمة، وكان أول من أطلقه معرفيا عالم الاجتماع الكندي مارشال ماك لوهان في الستينيات إبان صياغته لمفهوم القرية الكونية، (حسن أحمد غلاب، 2002، ص147)

وتعرف العولمة أيضا على أنها الاتجاه الذي يصبح به العالم نسبيا، كرة اجتماعية بلا حدود أو أنها تكثيف العلاقات الاجتماعية عبر العالم، حيث ترتبط الأحداث المتباعدة بطريقة تبدو كما لو كانت تتم في مجتمع واحد.

وتأخذ العولمة أبعاداً كثيرة غير أن التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم كله هو هدفها الأساسي، ويكون ذلك عبر أعمال آليات استراتيجية كالهيمنة والتبعية باعتبارها الأوفى لتحقيق مبدأ التنميط، (سعيد إسماعيل علي، 1985، ص57)، وبذلك أصبحت العولمة وفق هذا التوجيه تعني السيادة المطلقة ليس لنموذج اقتصادي وحسب، وإنما سيادة النظام الكوني الأمريكي الموحد عبر آلياته وأهدافه التي تؤكد على ذلك يوما بعد يوم.

ومنه يمكن القول بأن العولمة تحولت إلى هيمنة سياسية وثقافية واقتصادية، ولن تستطيع نظم التعليم أن تعيش بمنأى عن هذه الهيمنة والعبارة الشهيرة العولمة هي أمركة العالم تجسد المفهوم الحقيقي للعولمة.

ويترتب عن هذا المفهوم للعولمة القائم على الهيمنة تحديات متعددة منها زوال الهوية القومية، حيث يظهر تعارض حاد بين الطرفين، فالتمسك بالهوية والوطن والأمة والخصوصية الثقافية والدينية يقابل العولمة ويقاومها، ومن هنا يظهر أن فكرة الانبهار بالثقافة الفرنسية التي ظهرت مع الطهطاوي تسير في اتجاه العولمة وتقضي على الهوية الثقافية إن لم تكن مصاحبة بتوعية وتربية للأنا.

2.6.الهوية الإسلامية في مواجهة الآخر

لسنا نحاول في هذا الجزء إظهار سلبيات العولمة، لأن هذه المشكلة تم تداولها في الكثير من الأبحاث، وتم الفصل فيها تقريبا، لكننا بصدد الحديث عن كيفية تأسيس عولمة إسلامية مضادة تجعل الآخر متأثرا ومنفعلا بنا، وناطقا بقيّمنا ولغتنا، وهي معركة الذات الإسلامية راهنا، على عكس ما نادى به الطهطاوي وهذا ما سنعالجه من خلال ولوج العناصر التالية

. المجتمع الإسلامي المعاصر

المجتمع الإسلامي هو مجموعة الأفراد المسلمين، الذين يعيشون على الرقعة الجغرافية السّياسية الإسلامية، ويشمل المؤسسات البنيوية المختلفة، الأسرية والسّياسية والاقتصادية

والتربوية والدّينية والعسكرية، يجمع أفراده ثقافة واحدة، وهو كيان مَجازي أكبر من مجموع الأفراد والكيانات السّياسية المكونة له. (الدراجي زروخي، 2021، ص 251، 254.)

والأرض الإسلامية جزء من الكون، والإنسان المسلم وحدة اجتماعية جزئية من العالم، لا تمتد عبر أرض واحدة، بل منتشرة في العالم أجمع، فالأمة الإسلامية لا تربطها رقعة جغرافية بقدر ما يوحدها دين واحد، ومصير واحد أينما وجد أبناء هذه الأمة.

وليكتمل التعريف بالمجتمع الإسلامي نضيف أنه عبارة عن أمّة موحَّدة متجانسة موصولة التاريخ منذ بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا المجتمع الممتد في الزمان والمكان، تنظمه جماعات مُتفاوتة الأعمار، تربطها علاقات ووظائف يكمِّل بعضُها بعضاً، وللمجتمع الإسلامي خصائص تميِّزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، فإن زالت هذه الخصائص زالت معها الذات الإسلامية. (عفيف البهنسي، 2009، ص11)

والمجتمع الإسلامي تآلف مُعقّد يضم بين مقوّماته الأساسية الوطن والبيئة والأفراد والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات، والبنى متفاعلة فيما بينها، ومع المجتمعات الأخرى عبر التاريخ، وهذه الصّفات قد يتميز بها المجتمع الإسلامي، وهذا راجع إلى كونه تعرض لتغيّرات سريعة وشاملة ومتلاحقة، وفقا لمجريات الحياة فيه، مما كان له أكبر الأثر في كل نواحي الحياة العربية والإسلامية، وبالرغم من هذه التغيرات التي حدثت وأثرت في المجتمع الإسلامي فإنه احتفظ بمجموعة من السمات والخصائص، ومبلغ الخطورة في التمييز بين المجتمع العربي والمجتمع الإسلامي أو محاولة تقسيم المجتمع الإسلامي إلى مجتمع عربي إسلامي، ومجتمع إسلامي أعجمي، ذلك أن الإسلام كوني لا لغة له، حتى وإن كان القرآن بلسان عربي مبين، فهذا التقسيم يؤدي إلى تفتيت وحدة المجتمع الإسلامي وضعفه، وكان على أدب الرحلة ان يتناول هذه القضايا و لا يركز على الانبهار بالآخر وثقافته فقط.

وما يميز المجتمع الإسلامي هو ثقافته العربية الإسلامية، فالثقافة العربية هي ثقافة الشعوب التي اعتنقت الإسلام، وإطلاق مصطلح " الثقافة العربية " على ثقافة الشعوب الإسلامية التي تتكلم العربية فقط دون الشعوب الإسلامية التي لغتها غير العربية مثل باكستان وإيران واندونيسيا وغيرها هو إطلاق مجازي، يجب أن ننتبه إليه ونصحّحه، وليس هناك مجال لمناقشة كيف نشأت هذه التسمية التي جاءت بعد الغزو الفكري والتغريب؟ والصحيح هو أن الثقافة الإسلامية والثقافة العربية والثقافة العربية الإسلامية هي مصطلحات ثلاثة بمعنى واحد، ويمكن استخدام أي واحد منها. (محمد الجوهري حمد الجوهري،2002، ص96)

إن الدين الإسلامي يمثل عاملا هاما ومركزيا في تحديد الهوية الحضارية للمجتمع العربي والإسلامي كما هو معلوم، فالدين الإسلامي يتصل وبشكل مباشر بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية، لكن القول بأن الثقافة العربية هي ثقافة إسلامية هذا غير صحيح، لأن المجتمع العربي يحتوي على عدد لا يستهان به من المسيحيين من الأقباط والأرثدوكس والكاثوليك والمتواجدين في مناطق متفرقة من الأراضي العربية كسورية ولبنان وفلسطين ومصر وغيرها من الدول العربية، ولهم أنشطة سياسية ويمارسون طقوسهم الدينية وعاداتهم بكل حرية، والمسلمون أنفسهم ينقسمون إلى طوائف كالسنة والشيعة(محمد عمارة، 1998، ص8.).

ويرى المفكر العربي محمد عمارة أن الحضارة الإسلامية تختلف عن غيرها من الحضارات بالمنهاج الوسطي المتوازن، وبالثوابت التي حفظت عليها التواصل والروح الحضارية الواحدة عبر الزمان وعبر المكان، مع التطور والنمو والتنوع الذي يواكب كل جديد في الفروع والجزئيات والتفاصيل، وعقيدة الجهاد تجعل عزة المسلم من عزة الله سبحانه وتعالى، وعزة رسوله عليه الصلاة والسلام، وتدفعه هذه العقيدة الجهادية إلى إمامة الدنيا وقيادة العالمين، وهذه العقيدة لم تقف عند حدود التصورات الفكرية، وإنما سبق لها أن تجسدت في فتوحات و بطولات،(محمد عمارة، 1998، ص9.).

وهي التي ستحميه من خطر العولمة، ومن هنا يظهر تهافت فلسفة الطهطاوي في قوله او انبهاره بالآخر ، الآخر الذي ينظر إلينا نظرة دونية و يحاول بثقافته أن يطمس ثقافتنا، فهل يعقل أن نتفاعل مع الآخر متأثرين فقط، يجب علينا أن نتفاعل لنؤثر في غيرنا وننقل ثقافتنا ونعرف بها.

إن الإسلام هو أول من طرح فكرة العولمة في شكل العالمية، وأول من نادى بنظام اقتصادي سليم، وقد طبق رسول الله عليه الصلاة السلام العولمة الصحيحة التي جاء بها الإسلام، وحقق نظام اقتصادها السليم الرخاء للبشرية في عدة فترات من التاريخ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى الدين واحدا والمعبود واحدا والكتاب واحدا والاقتصاد واحدا والتاريخ واحدا، وللأمة القبلة الواحدة والسنة واحدة والشريعة واحدة، إن الإسلام يدعو إلى العولمة الصحيحة، ونشر الرحمة والعدل بين كل الشعوب، فما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلا رحمة للعالمين.

ويجب أن نشير هنا إلى أن تمسك الشعوب العربية بهويتها الثقافية هو الذي يساعدها على مواجهة العولمة الوافدة من المجتمع الغربي، وفي ظل غياب هذه الهوية الثقافية سيتحول العالم العربي إلى مستعمرات جديدة.

.العولمة والهوية الثقافية الإسلامية

أدى سقوط الاتحاد السوفياتي سابقا وانهيار منظومة الدول الاشتراكية، ومعها سور برلين وإعلان الرأسمالية الغربية نهاية التاريخ مؤقتا، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالقرار الدولي، وهذا الوضع جعل الأمم أمام تحد لابد من مواجهته والعثور على الحصن المنيع الذي يصون الأمم والحضارات، والحصون متنوعة ولكن الحصن الأكثر أهمية وثباتا هو الحصن الثقافي، فالثقافة هي الحصن الذي يحفظ الهوية، ولذلك كان الغزو الثقافي هو مفتاح الهيمنة على هذه الشعوب.

وتبوأ الاتصال بمختلف مضامينه ووسائطه، مركز العولمة الثقافية خلال عقد التسعينيات، وأصبح محركها وموجهها الرئيسي، ومن داخل ذلك الحقل تبرز أداتان تجتازان أبواب البيوت والحدود والجمارك، بدون رخصة ولا استئذان، وهما الإذاعة والتلفزيون ويخصهما كل من عكون(**Akoun**) في دراسته عن " سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري "، وأبودوراي (**Appadurai**) في دراسته عن " الحداثة بأوسع معانيها " وخصهما بوظائف وهي :

– نقل المضامين الثقافية داخل وخارج الحدود بالصوت أو الصورة أو بهما معا.

– صياغة الأخبار والتأثير في المتلقي، ليس بالصياغة والتعليق فحسب، بل حتى بالترتيب والإخراج والإيحاء والتمويه (محمد العربي ولد خليفة، 2007، ص398، 399)

- التسلية والترفيه، الذي أصبح فنا وعلما صناعيا معولما، تسيطر عليها شركات عملاقة، فعن طريق البث والإشهار الإذاعي والتلفزيوني، تعرف الجمهور الواسع على مركبات " والت ديزني " العالمية، والترفيه التثقيفي التوجيهي عن طريق مسلسلات الكارتون المخصصة للأطفال والمسلسلات الأخرى الدرامية والكوميدية الموجهة للكبار، والنقل المباشر للحفلات والمباريات ومواكب التنصيب، والجنازات السياسية للملوك والرؤساء والنجوم العالميين.

- توفير منابر مفتوحة للمناقشات والمناظرات على المباشر(**Live**).

- القدرة على التصفية القبلية للمعلومات بالحذف والتغطيس (**Banalisation**)، والانتقاء في المجالات السياسية والفكرية والاقتصادية، مما يؤدي إلى عولمة بعض الأفكار والاتجاهات وطمس أخرى، كما هو الشأن في إبراز مكانة الورقة الخضراء (الدولار) والتضخيم من خطر الحركة الإسلامية.

- الترويج العالمي للاستهلاك والإشهار لعدد من السلع، وإعطائها جاذبية تؤدي إلى الإدمان على التعاطي معها دون غيرها، ونشر ثقافة خاصة بمقاييس الرشاقة، والزينة ومعارض عالمية لموضة اللباس حسب الفصول، وحسب السن والجنس وغيرها. (محمد العربي ولد خليفة، 2007، ص398، 399)

وأضيف إلى هذه الدراسة القديمة منصات التواصل الاجتماعي التي جعلت الكل صاحب رأي وفكر وينضح بالحكمة، واستبدت بالفرد وانعزلت به، ودمرت كيانه وأخلاقه وحياءه، كما أدت هذه الشبكات بفعل تضخيم الصورة إلى تضخيم الأنا افتراضيا وتقزيمها واقعيا، وأدت إلى خلق مؤثرين تافهين لا أثر ولا نفع لهم في الواقع حيث تهتم الدول الغربية المهيمنة بحكم العالم والسيطرة عليه وصناعة أدوات الهيمنة، ونحن مشغولون بأخبار التافهين والتافهات، وانتقل الأمر إلى الميدان العلمي حيث تحولت مقالاتنا وملتقياتنا إلى كلمات جوفاء مستهلكة من أجل تحصيل بعض الترقيات، لتكون هذه الكلمات مصحوبة بصور على هذه المنصات بحيث أن حجم الصورة أكبر بكثير من الأثر النفعي لهذه الملتقيات.

ومنحت شبكات التواصل الاجتماعي فرصة لجحافل الأغبياء والتافهين بأن يكونوا في مصاف المؤثرين، وتقتات من ظهورهم بعض وسائل الاعلام المرئية والمسموعة من خلال استضافتهم في حصص هدامة، ليقدم هؤلاء على أنهم نماذج ناجحة يجب أن يقتدي بهم الأبناء والبنات، بل وتقدم لهم المساعدات المالية دون شرط أو قيد من بعض رجال الأعمال، الذين يظهر سخاؤهم مع هؤلاء ونلمس شحّهم في تدعيم التربية والتعليم والمشاريع النافعة.

والعولمة الثقافية هي نشر الثقافة الغربية وعلى رأسها الثقافة الأمريكية، وجعلها نموذجا كونيا، يجب تبنيه وتقليده على أن تكون هذه الثقافة هي المتحكم فينا، وتكون أمريكا السيد علينا، ولا نخطو خطوة إلا بأمرها، ولا يسمح لنا بالاستفادة من التطور الذي وصلت إليه في مجال الإعلام والتقنيات العلمية وما إلى ذلك من انجازات، وتبقى المجتمعات المستهدفة مجرد مستهلك لمنتجاتها المعروضة في أسواقهم، وهو ما سيؤدي حتما إلى تأثر المجتمع العربي الإسلامي بهذه الثقافة، وتنصهر الذات الإسلامية بكل مقوماتها في الأمركة.

إن العولمة لم تستثن مجالا من مجالات الحياة إلا واكتسحته وغزته، ويظهر ذلك من خلال توسيع نطاق انتشارها بطرق حضارية جديدة، تربط كل العالم بثقافة واحدة، وهذا ما يشكل خطرا حقيقيا على جميع الثقافات القومية المنتشرة في العالم وبالذات الثقافة العربية الإسلامية، لما تحمله من موروث ثقافي ثري ومتميز ومقاوم.

ومشكلة هويتنا الثقافية ليست في اكتساح العولمة والأمركة فقط، بل في عجزنا عن إعادة ابتكارها وتشكيلها في سياق الأحداث والمجريات أو في ظل الفتوحات التقنية والتحولات التاريخية، أي عجزنا عن عولمة هويتنا، وعقلنة سياستنا وتحقيق عالمية فكرنا ومعارفنا، تلك هي المشكلة الحقيقية والجوهرية التي نستحي من ذكرها، وعجزنا حتى الآن عن خلق الأفكار وابتكار المهام، وتغيير الأدوار لمواجهة تحديات العولمة على أصعدتها المختلفة والمتعددة وعجزنا عن احتواء العولمة وأسلمتها، وهذا ما نلمسه في اعتراف جيرار ليكلرك (**Gérard Leclerc**)، الذي يقول في مقدمة كتابه العولمة الثقافية " ربما يقدر للعالمية الثقافية أن لا تكون مؤسسة فقط على استمرارية التقاليد القديمة المتعددة، ولا على وجود لحداثة وحيدة ذات أصل غربي، إن إشكالية الحداثة في بلاد الإسلام لا تكمن في " أسلمة الحداثة " ولا في " تحديث الإسلام " ربما كان قوامها على الأرجح كامنا في ابتداع عالم تتعايش فيه بسلام تعددية التقاليد، وحيث تجد العديد من الحداثات مكانا مشروعا لها، بما في ذلك العديد من الحداثات الإسلامية "(جيرار ليكلرك ،2004، ص12)

وفي هذا الرأي الكثير من الصواب، فمشكلة الذات الإسلامية تكمن في أنها لم تحجز لنفسها مكانا بين الثقافات الأخرى، ولو كان هناك تجانس بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية لما كان كل هذا التخوف من العولمة ، ونظرا لضعف الثقافة الإسلامية أصبح ما يقدمه الغرب اليوم من ثقافة بالنسبة للثقافة العربية الإسلامية نوعا من الاختراق الثقافي، الذي يدمر قيّمنا الإيجابية مثل الرحمة والجهاد والوحدة والإخاء وغيرها، وبالتالي يجعلنا عاجزين عن المواجهة في كل المجالات، السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية، لهذا يجب أن تكون المواجهة متكافئة، أي أنه لا يمكن أن تكون وسائلنا مختزلة في القيم والأخلاق، بل هي حرب شملت كل المجالات التي ذكرت، وعلى الذات الإسلامية أن تكون في المستوى على جميع الأصعدة، يجب أن تكون وسائل المواجهة مماثلة، وفي مستوى وسائل واستراتيجيات الغرب، حتى تتمكن الثقافة العربية الإسلامية من الصمود والتحدي، كل ما ذكرناه من أهداف للعولمة يجعلنا نقول بتهافت رؤية الطهطاوي، فزمننا هذا يعرف تطورات لم يشهدها الطهطاوي في زمنه، ويمكن الاستفادة من أدب الرحلة للطهطاوي، لكن بعد تمحيص ونقد.

7.خاتمة

بعد هذا التحليل نستنج أن أدب الرحلات يعد من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والأدبية والثقافية، لأن الكاتب يأخذ المعلومات والحقائق من المشاهد الحية التي عايشها مباشرة، مما يجعل قراءته مفيدة وممتعة وحية. وأدب الرحلات أدب واقعي في الغالب ومساحة الخيال في أدب الرحلات قليلة جدا لأنه يعتمد في الاساس على وصف الواقع ونقل تجربة

الآخرين لنا وتعريفنا بعاداتهم وثقافتهم، والرحلة حقيقة ومتعة ومؤانسة وحرص على المزيد من المعرفة، وتلقى الضوء على جوانب الحياة كاملة بإيجابياتها وسلبياتها، وتنقل إلينا مظاهر حياة الآخرين في ثوب أدبي، وهذا ما حاول الطهطاوي تحقيقه من خلال نقل ثقافة الفرنسيين إلى المجتمع العربي داعيا الشباب للأخذ من هذه الثقافة والاستفادة منها، ولهذه الدعوة آثارها الإيجابية إن تعلق الأمر بأخذ الأفكار الحية الخاصة بالعلم والمعرفة والابداع. فالحكمة لا يمكن أن تكون حبيسة مجتمعنا، بل تتعدى الى مجتمعات أخرى، ووظيفة أدب الرحلة هي البحث عن الحكمة في مجتمعات أخرى، ولكن لهذه الدعوة مبلغ الخطورة إذا تعلق الامر بالانصهار والتخلي عن مظاهر الهوية الأصلية ونبذ التراث، وما غاب عن الطهطاوي أن الكثير من مظاهر الحياة التي مدحها في المجتمع الفرنسي تتعارض مع القيم الإسلامية، ومع ميلاد العولمة تحولت الثقافة الغربية إلى قرش التهم الثقافات الأصلية، ويعمل على طمس الهوية الإسلامية بمعنى أن ما نادى به الطهطاوي يتفق في كثير منه اليوم مع مؤامرات العولمة

أراد الطهطاوي أن يلبس عباءة الغرب للعرب، ونسي أن للعرب عباءة لبسها الغرب يوما ما، وكان العرب سببا في تقدم الغرب ادبيا وفكريا وثقافيا، ونحن اليوم ندفع ضريبة انفتاحنا السلبي على الغرب، والذي جعل منا مجتمعا مستهلكا انصهرت هويته في هوية غيره، في زمن العولمة لم يعد ينفع الانفتاح على الآخر نحن مطالبون باحتواء الاخر لنحفظ هويتنا وكرامتنا ووجودنا.

8. قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

- الطهطاوي رفاعة رافع، (1973)، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الطهطاوي رفاعة رافع، (2012)، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة مهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- الزَّبيدي المرتضى، (2010)، تاج العروس، دار الهداية، الرياض.
- إبراهيم مصطفى – أحمد حسن الزيات – حامد عبد القادر – محمد على النجار، (د ت) المعجم الوسيط، مؤسسة الصادق لطباعة والنشر، اليمن
- ابن منظور، (دت)، لسان العرب، ج3، دار صادر، بيروت.

- إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيحانى، (1997)، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، لبنان.
- بن حمد الحقيل عبد الله، (2007)، صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية.
- سمير عبد الحميد، (1999)، الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردوى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
- محمد بن أحمد المقدسي البشاري أبو عبد الله، (1991)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.
- ابن بطوطة، (1905)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، القاهرة.
- لالاند اندريه،2001، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل ، منشورات عويدات، بيروت.
- صليبا جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، القاهرة.
- ليفيناس ايمانويل، (2014)، الزمان والآخر، ترجمة جلال بديلة، معابر للنشر والتوزيع، دمشق.
- زروخي الدراجي، (2009)، فنيات الخطاب الفلسفي، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
- زروخي الدراجي، (2015)، الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية.
- زروخي الدراجي، (2021)، خرافة الإسلاموفوبيا، منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية والمشكلات الاجتماعية جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

- تومي عبد القادر، (2009)، العولمة من الاقتصاد إلى الايديولوجيا، الحكمة للنشر والتوزيع. الجزائر.
- البنا فؤاد، (2006)، العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة.
- أحمد غلاب حسن، (2002)، في التربية والتعددية الثقافية في الألفية الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- إسماعيل علي سعيد، (1985)، فلسفات تربوية معاصرة، منشورات دار الثقافة. الكويت.
- الهنسي عفيف، (2009)، الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، منشورات وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- الجوهري محمد، (2002)، العولمة والثقافة الإسلامية، دار الأمين للطباعة، مصر.
- عمارة محمد، (1998)، هل الإسلام هو الحل؟ دار الشروق، القاهرة.
- ولد خليفة محمد العربي، (2007)، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات ثالة، الجزائر.
- ليكلرك جيرار، (2004)، العولمة الثقافية. الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة طرابلس.
- **الأطروحات**
- فاروق فؤاد نفين، (2006) القيم والثورة العلمية البيولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس، القاهرة.
- آل حمادى عبد الله بن أحمد بن حامد، (1997) أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية.
- **المقالات**
- انجيل بطرس، (1975)، الرحلات في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، ، العدد 7،الصفحات من 41-62

- الغزال فاطمة، (2022) صورة الآخر في رحلة رفاعة الطهطاوي، مجلة حوليات الآداب واللغات، المجلد 10، العدد2، الصفحات من 115-136.
- سفيان فاتن، (2024) مسألة الحرية في الفكر العربي، مجلة المعيار، جامعة تيسمسيلت، المجلد15، العدد1، الصفحات من، 1504-1520
- قلي عبد الله، (2011) غايات التربية في ضوء العولمة، مجلة التربية والابستمولوجيا، العدد الاول، الصفحات من 16-26

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Russ Jacqueline, (1992), Les méthodes en philosophie, Armand Colin.

9. ملاحق

. السيرة الذاتية لرفاعة ر افع الطهطاوي

رفاعة الطهطاوي هو أحد أبرز العلماء والمفكرين المصريين في القرن التاسع عشر. وُلد في القاهرة عام 1801، وتلقى تعليمه في مدرسة اللغات وجامعة الأزهر، حيث درس اللغات العربية والفارسية والتركية واللاتينية والفرنسية والإنجليزية، كما درس الشريعة الإسلامية والفلسفة. وقد أرسلته الحكومة المصرية إلى فرنسا ليدرس الفلسفة والأدب والعلوم السياسية، حيث قضى هناك عدة سنوات وتخرج من جامعة سوربون عام 1826.عاد الطهطاوي إلى مصر بعد تخرجه وبدأ حياةً علميةً وثقافيةً مشتعلة، حيث ترك بصمة كبيرة في العديد من المجالات، بما في ذلك الأدب والفلسفة والشريعة الإسلامية والتاريخ والعلوم الاجتماعية. كما عُرف الطهطاوي بترجمته للعديد من الأعمال الفرنسية الهامة، وأسهم بشكل كبير في نشر الثقافة الفرنسية في مصر والعالم العربي. توفي الطهطاوي في القاهرة عام 1873، لكن إرثه العلمي والثقافي لا يزال حتى اليوم يؤثر على العديد من المفكرين والعلماء في العالم العربي.